

التعليق على مقال من المجنون؟

د. أشواق مطر

(تذكرت مرة كنا في جلسة استراحة عن العمل جمعتنا ببعض الزملاء الاجانب منهم هنود وروس وكان ذلك منذ حوالي اربع سنوات، تكلمنا عن الظروف المحيطة وكيف كانت عدن زمان وتحديدأ أيام الانجليز، وتحديثنا باسهاب وحنين للظروف الماضية لما كان فيها نظام ونظافة وقانون وامن وعدالة فقال احد الهنود : اعتقد انني جنئت في الزمن الخطأ، اما الروسية لم تعقب ولكنها كانت سارحة ربما اخذها الحنين الى وطنها فالظروف التي حكينا عنها تفتقدها وربما تذكرها بوطنها.

في اليوم التالي جاءت الى عيادتي وكأنها متسلله او مثقلة بذكريات الامس، جلست وقالت : حديث امس كان جميل، اسألك: اذا عاد الانجليز مرة ثانية الى عدن، قلت : اذا عادوا سنحمل السلاح ونقاوم. فتحت فمها بدهشة، ولم تستطع بعدها التعقيب او الكلام).

هكذا كتبت يوماً وانهيته ما كتبتة بالفقرة السابقة.

مرت ابنة اختي وانا اكتب فمددت لها الاوراق واخذت تقرأ واعجبها ما كتبت وقالت كل ما كتبتيه جيد باستثناء الفقرة الاخيرة وصممت ان الغيها ولا انهي ما كتبتة بتلك الفقرة حتى يكون كلامي منطقي ومقبول وقالت : من المجنون الذي سيخرج لمحاربة الانجليز بعد كل الظروف التي تمنينا ان نعيشها مثل الاجيال السابقة، جيلكم وجيل من سبقكم اعتقد انه ندم بعد ذلك، اما جيلنا سيستقبلهم ويطلب منهم الخلاص لان الاستعمار هو الذي عشناه، هي ظروف القهر والاقصاء وهدم البلد ومقومات الدولة المدنية بكل مؤسساتها، الاستعمار هو ان تعيش باحساس انك مواطن من الدرجة الثانية، جيلنا سيستقبلهم والكثير من جيلكم والاجيال الذي سبقتكم اعتقد انهم سيشاركونا. قلت لها الاستعمار يظل استعمار مهما كانت ظروف الحياة التي وفرت لنا في السابق، ما زالت في مخيلتي الصور الذي كان يعرضها التلفاز لمرحلة مقاومة الاحتلال ومنظر ذلك الرجل الذي يتعرض للركل وهو يردد عبارته الشهيرة للجندي البريطاني: (انا رجل، انا انسان). عدن طول عمرها على مر الاجيال لا تقبل النيل من كرامتها ولا تقبل احد ان يهين كرامتها. في ظل الاحتلال البريطاني كان المواطن العدني وكل من عاش على ارضها الطيبة من اماكن اخرى محتفظ بكرامته ورغم ما قدم لنا الاستعمار البريطاني كانت كرامة المواطن فوق كل شئ وفوق كل الاغراءات، عشنا دائماً احرار، دائماً ننتفض عندما يكون الموضوع متعلق بالكرامة لاننا دوما احرار، وهكذا كانت ردة فعلنا في السنوات القريبة الماضية عندما حاول الآخرون اهانتنا والنيل من كرامتنا ومعاملتنا وكأننا مواطنين من الدرجة الثانية فثرنا وقاومنا ولم نياس وعندما تجبروا في طغيانهم حملنا السلاح وحاربنا. استمعت الى كلامي وقالت اذن يظل الانجليز استعمار ارحم على الاقل لم يهنوا الاجيال السابقة كما هانونا القادمين الجدد وحولوا حياتنا جميعاً الى حياة بلا كرامة وخاصة عندما قرروا بخبث وتخطيط اننا لا نستحق حياة المدنية واننا اقل من ان نكون مواطنين حتى من الدرجة الثانية وان الصحة والتعليم والامن والعدالة والنظام والتنمية وتسهيل سبل العيش للمواطن نوع من الرفاهية الذي لا نستحقه.

